مجلة التربية

مجلة محكمة تصدر عن اللجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم

٩ قطر تحتفل بالدورة الـ ١٥ لجائزة التميز العلمي

٢٩ ظاهرة الطلاق ودور التربية في الحد منها

٤٩ بناء الشخصية النقدية وانعكاساته على الأدوار الاجتماعية والأكاديمية للطلاب

١١٩ أثر استخدام خامات البيئة المحلية من مخلفات السيراميك على إبراز الرموز الفنية والتشكيلية لدى طلاب المرحلة الإعدادية

٢١٧ اتجاهات الإنفاق على البحث العلمي في دولة قطر

٢٨٥ التربية الأسرية وعلاقتها بمضامين البرامج في القنوات الفضائية

العدد ٢٠٣ - السنة الحادية والخمسون - مارس ٢٠٢٢

قضايا التنمية المستدامة وتآزر القيم والمسئولية الاجتماعية في الإسلام

الدكتورة/ حميدة ميلاد أبو رونية
جامعة طرابلس - ليبيا

الملخص:

الآليات المختلفة للبيئة الطبيعية التي خلقت لخدمة البشرية بوصفها إحدى وظائفها، لا تعني أن سبب خلقها هو للاستهلاك البشري فقط بدون ضوابط ومسئولية مكلف الانسان باتباعها، بل مطالب كخليفة الله في الأرض برعاية وتعزيز جميع الموارد الطبيعية. لقد أعطى الدين الإسلامي للإنسان والتنوع البيولوجي والتوازن البيئي والأنشطة الانسانية والاقتصادية أهمية كبيرة، من خلال الآيات القرآنية والسيرة النبوية. ستثبت هذه الورقة من القرآن الكريم والسنة؛ أن الشريعة الإسلامية تدعم أنشطة البشر الاقتصادية والاجتماعية، بل تدعوهم لسعي والاعمار وتحقيق التنمية واستخدام الموارد الطبيعية بإدارة مستدامة. وأن تسليط الضوء على التنمية المستدامة في سياق الثقافة الإسلامية في هذه الورقة هو فرصة لتحديث المقاصد القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة في إدارة البشر للبيئة الطبيعية وتحملهم للمسئولية وصون الأمانة التي كلف بها. وقد وجدت مبادئ التنمية المستدامة في العقد الاجتماعي الإسلامي لعدة قرون مضت في المصدرين الرئيسيين وهما القرآن الكريم والسنة. ويُكرس هذان المصدران على أن الأنشطة البشرية ينبغي أن تدعم البيئة لا ان تستنفدها، الى جانب حماية حقوق الأمم الأخرى؛ الحيوان والنبات، وضمان ألا تمس الأنشطة البشرية بضرورات التنمية الاجتماعية والاقتصادية سواء الآن أو في المستقبل.

لذلك، فإن الهدف الرئيسي من هذه الدراسة هو استكشاف أوجه التآزر بين القيم الإيمانية والثقافة الإسلامية من أجل الاستدامة مع التركيز على الإجراءات الرئيسية للشريعة الإسلامية المتعلقة بالجانب البيئي والمسئولية الاجتماعية.

ويخلص البحث إلى أن القضايا المحيطة بالأستدامة لها إجراءات إلزامية وأخلاقية في الشريعة الإسلامية تلزم الفرد والمجتمع على إتباعها، وفي سياق تبني خطط تعليمية وتربوية تشمل البعد الديني والقيم الأخلاقية تجاه البيئة، يمكن حينئذ للمجتمع أن يؤدي دورا حاسما في النهوض بإطار قوي للتنمية المستدامة.

المقدمة

تعد البيئة الطبيعية المختبر الذي يؤثر ويتأثر بالأنشطة الاقتصادية والاجتماعية التي يقوم بها الانسان. ولذلك فإن الاستدامة تتطلب أن يتحقق التوافق والاتزان بين الابعاد الثلاث للتنمية (البعد البيئي، البعد الاقتصادي، البعد الاجتماعي)، أي يتحقيق النمو الاقتصادي وتنمية اقتصادية اجتماعية، مع الاستخدام الأمثل والمتزن والعقلاني للموارد البيئية، واكتناز الموارد الطبيعية لضمان حقوق الأجيال القادمة وتمكينهم من تلبية احتياجاتهم. وفي هذا الصدد يمثل الحفاظ على الموارد والمسئولية الاجتماعية الهدف الرئيسي في برنامج التنمية المستدامة منذ انطلاقها 1987 (WCED,1987). والإسلام منذ أربعة عشر قرناً أرسى مجموعة من القيم والمبادئ الزم المسلم باتباعها تجاه البيئة الطبيعية. تهدف الورقة لابراز القيم والمبادئ الأخلاقية الداعية لاعمار الأرض الى جانب احترامها المذكورة في القران والسنة لتكون منهاج عمل لواضعي السياسيات والخطط التعليمية والاجتماعية والاقتصادية بحيث يكون الوازع الديني للمسلم هو الدافع الحقيقي له في حمايته للبيئة وتبنيه لبرامج التنمية المستدامة وترسيخه لمبادئ المسؤولية الاجتماعية.

تتناول هذه الورقة أحد الموضوعات الحديثة نسبياً وهو موضوع البيئة والتنمية المستدامة والمسئولية الاجتماعية من المنظور الإسلامي، وتسعى لتسليط الضوء على القيم والمبادئ السامية التي جاء بها الإسلام كإحدى القيم الحضارية المرتبطة بأخلاقيات التعامل مع البيئة، والتعامل الرشيد مع عناصرها ونظمها ومواردها.

تنتهج الورقة المنهج الاستقرائي الاستنباطي، اذ تتناول مفهوم البيئة والتنمية المستدامة والمسؤولية الاجتماعية، وأن تسليط الضوء على البيئة والتنمية المستدامة في سياق الثقافة الإسلامية في هذه الورقة هو فرصة لتحديث المقاصد القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة في إدارة البشر للبيئة الطبيعية.

مفهوم البيئة، والبيئة في الإسلام

البيئة هي مصطلح يطلق على كل الطبيعة الموجودة على سطح الأرض (طعمة، 2019)، كما تعنى الحال الراهن للمكان المحيط بالإنسان، والمقصود بالبيئة عند أكثر المتحدثين بها هي: المكان أو الحيز المحيط بالإنسان، أو الجوانب المؤثرة في الإنسان، وحالة الإنسان معها (سالم، 2012). وكلمة البيئة تطورت كثيراً، حتى أصبحت تطلق على حالات كثيرة تشمل ما يختص بالإنسان أو بالطبيعة (محمد، 2013). والتعريف الدولي للبيئة وهو ما أقره المؤتمر الدولي للأمم المتحدة عن البيئة، بإستكهولم 1972 ؛ بأن البيئة هي: "مجموعة من النظم الطبيعية، والاجتماعية، والثقافية التي يعيش فيها الإنسان والكائنات الأخرى، والتي يستمدون منها زادهم ويؤدون فيها نشاطهم" (عيسى، 2018: 153).

وترى الدراسة أن البيئة تنقسم الى نوعين؛ بيئة طبيعية من صنع الله عز وجل وبيئة صناعية من صنع البشر؛ والأخيرة تنطوي تحتها البيئة الاقتصادية، السياسية، الثقافية، والدينية. وتدعو الأنسان إلى العيش بطرق تحترم البيئة الطبيعية والصناعية وتعنى بكل مجالات وأنماط البيئة المتعددة، حاضرا ومستقبلا، ولا يجب أن يسعى البشر للمزيد والمبالغة باستغلال الموارد الطبيعية بعد تلبية الاحتياجات الأساسية (كلوغستون، 2012).

أما مفهوم البيئة في الإسلام فإنَّه يشمل جميع مناحي الحياة التي يعيشها الإنسان، وقد يتَّسع ليشمل الأرض التي يعيشُ عليها والسماء التي تظلُّه، وقد يضيقُ هذا المفهوم ليصل إلى بيت الإنسان ومكان عمله ومسكنه (طعمة، 2019). والبيئة الطبيعية من خلق الله سبحانه وتعالى وتأتي بأشكال مختلفة مثل المياه والنباتات والحيوانات والطيور والجبال والهواء والبحار والمحيطات وجمادات تشكل المجال الحيوي الطبيعي الذي يعيش فيه الإنسان ويمارس حياته الطبيعية ونشاطاته المتنوعة، واستخدامه لهذه الموارد هو حق لجميع المخلوقات.

قال الله تعالى: ((خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ، خَلَقَ الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ، وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ، وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ، وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ، وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ، وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ، هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ، يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ، وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ، وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ، وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ، وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ، وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ، أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ، وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (النحل (3–18))

ووفقاً للفكر الإسلامي، فإن الفوائد من البيئة الطبيعية لا ينبغي أن تقتصر على فئة معينة من البشر أو لجيل بعينه، بل هي هبة الله لمختلف الكائنات ولجميع الأجيال، في الماضي والحاضر والمستقبل. ويمكن فهم هذا من الآية القرآنية الكريمة: ((يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (الأعراف (31)).

ويأمر الله الناس بالاستفادة منها بأفضل طريقة ممكنة وألا يسعى إلى التسبب في الفساد في الأرض؛ لان الفساد والاستغلال المفرط في الموارد له تأثير على حقوق الأجيال القادمة. يقول الله سبحانه وتعالى: ((وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ (الأعراف (56)).

وهناك أكثر من 500 آية في القرآن الكريم تعطي المسلمين توجيهات – أوامر ونهي – حول القضايا المتعلقة بالمسائل البيئية والاقتصادية والاجتماعية (أبورونية وسكستون، 2006)، وهناك عدة أمثلة من حياة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) وأقواله، التي توفر نموذجا للعدالة والإنصاف من خلال المشاركة الجماعية في جميع مجالات الحياة (الجيوسي، 2009)، وكيفية التعامل مع البيئة الطبيعية والصناعية.

إذ لم تخلق الطاقات الكونية، والموارد البيئية جزافاً دون ميزان أو حسبان. والبيئة في الإسلام نظام دقيقٌ جدًّا ومتوازن بقدرة الله تعالى، قال تعالى في سورة النمل: ((صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ (النمل، 88))، وإن كل موارد البيئة تخضع لقانون التوازن: كالنباتات، والحيوانات، والطاقة الشمسية، والهواء، والماء والتربة (جابر، 2020)، قال الله تعالى: ((الرَّحْمَنُ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ، الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ، وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ، وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (الرحمن (1-7))).

اذن البيئة في الدين الإسلامي ليس مجرد منهج اعتقادي، بل هو أيضا أسلوب للحياة ومجموعة متكاملة من القيم. فهو يحث على تشبع كل فرد بالقيم الأخلاقية والبيئية (كريمي، 2012). بل وصل الأمر إلى جعل العمل البسيط لحماية البيئة من شُعب الإيمان كما جاء في قوله صلى الله عليه وسلم: (الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الْإِيمَانِ) (عمر، 2015).

الأخلاق البيئية الأسلامية

يتضمن الإسلام أن كل شيء على الأرض خلق من أجل الإنسانية وهو جائزة الله للناس. ومع ذلك، فهي هبة ذات شروط، ولا شك أنها تحمل مسؤوليات. ووجود الإنسان على الأرض تنطوي على تفتق سبل الحاجات التي تستلزم السعي والعمل لإشباعها وهو مقصد من مقاصد استخلاف الإنسان على الأرض (السبهاني، 2021)، قال الله تعالى: ((هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ (هود، (61))).

الإسلام هو اسم الدين الاسلامي؛ قال الله تعالى: ((إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (سورة آل عمران (19))

نشأ الإسلام في شبه الجزيرة العربية عام 610 م. والنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) رسول الله ونبيه التي أتم رسالته على أكمل وجه. علّم النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) أتباعه من المسلمين دروساً تمس كل جانب من جوانب حياتهم. إن القرآن الكريم والسنة تم إجماع علماء الفقه الاسلامي المتعلقة بكل حقائق البيئة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية تسمى الشريعة الإسلامية.

قال الله تعالى في محكم تنزيله: ((**ثمّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتّبِعْهَا وَلَا تَتّبِعْ أَهْوَاءَ الّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ** (الجاثية (18))

والشريعة باللغة العربية تعني مصدر الحياة، وتحتوي على قواعد قانونية ومبادئ أخلاقية. وقد تأسست منذ تأسيس الإسلام في القرن السابع (كون، 2003). ويُطلق هذا المسمى على جملة الأحكام والأوامر والنواهي التي شرعها الله عز وجل على عباده المؤمنين، ليقدم لهم في ذلك منهجاً واضحاً لكل ما أحله وكل ما حرمه ونهى عنه (صلاح، 2016).

الشريعة في اللغة: مشتقة من الفعل شَرَعَ أي أمر وحدد وأحل أو أمر وحدد ومنع، وقد أُطلق هذا الاسم على مورد المياه أي الماء الجاري الظاهر للناس، كما سُميت الأرض الواضحة أو الطريق الواضح والمستقيم بهذا الاسم.

الشريعة اصطلاحاً: هو كل ما شرعه الله عز وجل لعباده على الأرض من أحكام وقواعد ونظم وأوامر سعياً لتحقيق الغاية المتمثلة في جودة الحياة، لتمكين الناس من تحقيق مصالحهم بصورة سليمة وعلى أساس متين (صلاح، 2016).

الاسلام كأحد أعظم الأديان اهتم بالبيئة وكيفية التعامل معها منذ القرن السابع. اذ يشجع على الاعمار مع الحفاظ على البيئة الطبيعية لأنها مورد الحياة الوحيد، ويحث الناس على حمايتها. فالإسلام يمثل إحساساً كاملاً بالمجتمع وأسلوب العيش. وهو يحدد إطاراً توجيهياً للإجراءات في جميع مجالات حياة المسلمين.

إن إعمار الأرض واستغلالها يتقيدان في الإسلام بإطاعة الله والاهتداء بهديه والامتناع عما نهى عنه، والناس جميع شركاء في الموارد الطبيعة المباحة، ولا بدّ من الإشارة هنا إلى المبدأ التي أرساه الرسول صلى الله عليه وسلم، عندما قال: (**الناس شركاء في ثلاث: الماء والكلأ والنار**).

والمبادئ الإسلامية تحث على التراحم والتعاون في العمل والإنتاج بدون تخصيص، أو تمييز البشر في الجنس أو اللون أو الدين (عيسى، 2018). كما أوصى النبي محمد صلى الله عليه وسلم أتباعه بعدم إيذاء النساء والأطفال والعجزة، وعدم إيذاء الحيوانات أو تدمير المحاصيل أو قطع الأشجار، قال رسول الله: (**لا تقتُلُنَّ امرأةً، ولا صغيرًا ضرعًا ولا كبيرًا فانيًا ولا تُغرقُنَّ نخلًا ولا تقطعُنَّ شجرًا ولا تهدِموا بناءً**). وهذا الحديث النبوي هو اعتراف بحالة الإنسان وقيمة الطبيعة؛ ولا ينبغي أبدا أن تكون منفصلة عن بعضها البعض.

وطرق الأسلام ناقوس الخطر بشأن تدهور البيئة الطبيعية من الثلوث أو الإفساد كما أطلق عليها الشرع (طعمة، 2019). وتوضح لنا بما لا يقبل الشك أن للبشر يدا في تلويثها وتخريبها وتعطيل الحياة فيها، فهو يلوث أرضها وهواءها وماءها كل يوم بالملوثات على اختلاف أنواعها الكيماوية، والإشعاعية، والصناعية وغيرها، في قوله تعالى: ((**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ والْبَحْرِ بِما كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** (الروم (41))

وقد نهى الله تعالى عن الإفساد في الأرض وهو ما يعبَّر عنه اليوم بمفهوم التلوث البيئي، قال تعالى: ((**وإذا قيلَ لهُم لا تفسدُوا في الأرضِ قالُوا إنَّما نحنُ مصلِحُون، ألا إنَّهم هم المُفسِدون ولكِن لا يَشعرون** (البقرة (11–12))، ورغم ذلك يستمر التدهور البيئي في بعض الدول الأسلامية حتى في الوقت الذي يحُض فيه الإسلام على تجنب الإسراف في إستخدام الموارد والنهي عن تبذيرها دون جدوى، قال الله تعالى: ((**ولا تطيعُوا أمرَ المسرفين، الذِين يفسدُون في الأرضِ ولا يُصلِحُون** (الشعراء (151–152))،

بل تأثير الاختلالات الإيكولوجية أصبحت ملموسة تدق الأبواب بقوة مدمرة في كل أنحاء العالم، وتأثير الاحتباس الحراري وتغير المناخ سيصل كل دولة وقارة، قال تعالى: ((**إِذَا تَوَلَّى سَعَى فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ** (البقرة (205))، وأصبح مواجهة الاختلال البيئي بإجراءات جماعية صارمة كفيلة بالتقليل منه أمر مُلح (عيسى، 2018).

والجدير بالذكر هنا، إن ماجاء في الدين الإسلامي من مباديء تجاه البيئة الطبيعية جاء من عند المولى عز وجل وثبت ورودها في السنة النبوية وقطعت أي شكوك اتجاه ما ورد فيها، وإن قبول ما هو قانوني وما هو أخلاقي لم يشارك في نفس الفلسفة كما في الثقافات الأخرى التي تبني قوانينها على الفلسفات الإنسانية (عز الدين، 1990). والأخلاق البيئية الإسلامية، مثل جميع أشكال الأخلاق الأخرى في الإسلام، تقوم على أسس قانونية واضحة تخاطب فيها الفرد باعتباره خليفة الله على الأرض ومن قبل بحمل وأداء الأمانة (ايسيسكو، 2010)، يمكن تلخيص الأسباب القانونية والأخلاقية في الأسلام لحماية البيئة على النحو التالي (عز الدين، 1990):

- الأجزاء المكونة للطبيعة هي كيانات في تسبيح مستمر لخالقهم. قد لا يستطيع البشر أن يفهموا تماماً شكل أو طبيعة هذا التسبيح، لكن القرآن يصفه هو سبب إضافي للحفاظ على البيئة، قال الله تعالى: ((سَبّحُ لَهُ السّمَاوَاتُ السّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبّحُ بِحَمْدِهِ، وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (الاسراء 44)).
- قانون الطبيعة من صنع الخالق ويقوم على مفهوم الاستمرارية المطلقة للوجود. وظواهر (مثل سجود الأرض والشمس والقمر والنجوم والدواب وكذلك كسوف الشمس، والفيضانات، والعواصف) يحدث وفقا لقانون الله الطبيعي، والبشر يجب أن تعي هذه الآيات وبأنها إرادة الخالق. يجب على الانسان ان يتعظ ويمتثل لشريعة الله الطبيعية وأن يحترم من يسجد له في الأرض وفي السماء، كما هو مبين في القرآن: ((أَلَمْ تَرَ أَنّ اللّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشّجَرُ وَالدّوَابُ وَكَثِيرٌ مِنَ النّاسِ وَكَثِيرٌ حَقّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنّ اللّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (الحج 18)).

وقوله تعالى: ((فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ وَخَسَفَ الْقَمَرُ وَجُمِعَ الشّمْسُ وَالْقَمَرُ (القيامة 7-9))، ((وَمَا أَنْزَلَ اللّهُ مِنَ السّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثّ فِيهَا مِنْ كُلّ دَابّةٍ وَتَصْرِيفِ الرّيَاحِ وَالسّحَابِ الْمُسَخّرِ بَيْنَ السّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (البقرة 164))، ((وَهُوَ الّذِي يُرْسِلُ الرّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتّى إِذَا أَقَلّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلّ الثّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلّكُمْ تَذَكّرُونَ (الأعراف 57)).

- تعترف الشريعة بأن البشرية ليست المجتمع الوحيد الذي يعيش على الأرض. يقول القرآن الكريم: ((وَمَا مِنْ دَابّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمّ إِلَى رَبّهِمْ يُحْشَرُونَ (سورة الأنعام 38))، لدى فإن العناصر الأساسية للطبيعة؛ الأرض، الماء، النار، الغابات والضوء تعود ملكيتها إلى جميع الكائنات الحية وليس فقط للجنس البشري، وفي حين أن البشر قد تكون لهم اليد العليا على المخلوقات الأخرى، فإن هذه المخلوقات الأخرى هي كائنات، ومثل البشر تحتاج إلى الاحترام والحماية.

- إن توازن الكون خلقه الله وكل الأشياء التي خلقها الله في هذا الكون خلقت بالتناسب الواجب وقياسها كماً ونوعاً. قال الله تعالى: ((**الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ** (الرحمن (1-9)).
- في الكون هناك تنوع هائل ومتنوعة من الأشكال والوظائف. يتم قياس هذا الأخير بعناية ومتوازن بالضبط من قبل الخالق. يقول القرآن الكريم: ((**وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ** (الحجر (21))، وللتأكيد على ذلك، فإن البيئة هي خلق الله، وحمايته هو الحفاظ على قيمه كعلامة على الخالق.

وبصدد حماية البيئة الطبيعية واستدامة الموارد فإن الإسلام يحذر من تجاوز استخدام الموارد الطبيعية. فعلى سبيل المثال، كرس النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) مناطق محددة في مكة المكرمة والمدينة المنورة حيث لا يمكن اقتلاع أي نباتات طبيعية، وعدم صيد الحيوانات وهي بمرتبة "حمى الله" أي مرعى خاص، وأياً كان مراعي بالقرب منه (إيسيسكو، 2010)، ومنع خلال أوقات معينة في تلك المناطق الصيد داخل دائرة نصف قطرها أربعة أميال، ومنع فيها قلع الأشجار والنباتات داخل دائرة نصف قطرها اثني عشر ميلاً (المومني، 2018). إن إنشاء تلك المناطق المحرمة يدل على الأهمية التي أولاها الاسلام للإدارة والاستخدام المستدام للموارد الطبيعية وحماية البيئة البرية والأراضي الزراعية. كما جاء في قوله تعالى: ((**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً آمِناً وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ** (العنكبوت، (67)). وهناك اراء حول جذور مفهوم الحمى (حماية مناطق معينة)؛ فهناك من يرى انه وجد منذ عهد النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) (الانصاري، 2012).

في حين أن اراء أخرى ترى أن للحمى جذور تاريخية في الجزيرة العربية قبل الإسلام فكانت هذه تقاليد معروفة على مستوى المعابد والمزارات (البخيت، 2009). والحِمى لغةً هي قطعة الأرض الفسيحة وما فيها من عيون وينابيع تُحمى من الناس، ويُمنعون أن يرعوا فيها بأغنامهم ومواشيهم وأنعامهم (البخيت، 2009)، ولا يزال استخدام نظام الحمى ومنطقة الحرم منتشراً على نطاق واسع في بعض البلدان الإسلامية، ولا سيما في المناطق الريفية حيث تُنشأ الحمى لدعم الحيوانات التي ترعى (فاكير، 2005).

الى جانب بعض الإجراءات الأخلاقية الصارمة في كيفية التعامل مع الموارد الطبيعية والاستدامة في البيئة فإن الإسلام شجع الافراد على اعمار الأرض والاستفادة منها، قال النبي محمد (صلى الله عليه وسلم): (**ما من مسلم يغرس غرسا او يزرع زرعا فيأكل منه إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقه**) (صالح، 1992)، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**من نصب شجرة فصبر على حفظها والقيام عليها حتى تثمر كان له في كل شيء يصاب من ثمرها صدقة عند الله عز وجل**)، قال النبي صلى الله عليه وسلم " **مَن حفر بئرًا فله أربعون ذراعًا عطنًا لماشيته**).

وثمة تقليد آخر للنبي محمد، أو حديث، يقتبس منه قوله: "**إذا كانت الساعة (يوم القيامة) على وشك أن تنشأ وكان أحدكم يحمل طلقاً على النخيل، فليستغل ولو ثانية واحدة قبل أن تنشأ الساعة لزرعها**".

وبالإضافة إلى ذلك، دعى النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) أيضاً ما يلي:

- الأشخاص الذين يستردون أو يستصلحون الأراضي لديهم إذن لملكيتها؛
- يمكن أن تقدم الدولة منح الأراضي للاستصلاح والتنمية؛
- يجوز للدولة تأجير الأراضي لصلاحها (حق الاستخدام) لاستصلاحها وتنميتها؛
- ويمكن للدولة إنشاء محميات خاصة لاستخدامها كمناطق لحفظ الطبيعة.

ويمكن أن نطوي اخلاقيات البيئة في الاسلام إلى أحكام شرعية قطعية وغير قطعية، وهذا ما يشير إليه القسم المتعلق بالمبادئ الإنسانية في الشريعة الإسلامية والذي يتضمن خمس فئات؛ وهي كالتالي (أبورونية وسكستون، 2006):

أ- الأمور الواجبة: ويتمثل في جملة الفرائض التي أمر الله عباده بالقيام بها، أي إلزامياً على كل مسلم (بالغ) ولا يمكن له أن يتجاهله تحت أي ظرف من الظروف؛

ب- الأمور المستحبة: وهو ما أحب الله أن يقوم به العبد، ولكن دون أن يفرضه عليه ودون أن يفرض عليه أي عقوبات بسبب عدم قيامه بذلك. يتم تشجيع المسلم على تنفيذ هذه الأجراءات لانها مستحبة، لكنها ليست إلزامية؛

ج- الأمور المباحة: وهي الأمور المباحة ولا يعاقب الشخص إذا قام بها ولا يعاقب على تركها؛

د- الأمور المكروه: وهو كل شيء لا يندرج تحت خانة الحرام، ولكن غير محبب ومن المكروه القيام به؛

ه- الأمور المحرمة: قائمة بكل ما ورد فيه نصوص واضحة وصريحة وتم تحريمه، ويلاحظ أن الأعمال المحرمة محدودة في الإسلام وأي شيء آخر غير ذلك، هو التمتع وفقا لنظام يحفظ أسلوب الحياة ويوفر التوازن والانسجام في كل نشاط بشري.

وتقوم الأخلاقيات البيئية الإسلامية على مفهوم أن جميع العلاقات الإنسانية تقوم على العدالة والإنصاف. قال النبي محمد (صلى الله عليه وسلم): (**شرع الله الإنصاف في كل شيء**)، وقد قال الله تعالى: ((**وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ** (الشورى (15))، كما قال الله تعالى ((**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** (المائدة (8)).

ونلاحظ أن الإسلام أولى أهمية كبيرة للعدل ومعناه لغة الإنصاف، وجعله قضية مركزية، فلا يوجد ركن في الإسلام إلا والعدل فيه مطلوب، سواء ارتبط بالفرد أم الجماعة، بل إنّ الإسلام جعله أعظم المقاصد التي يقصد إليها الشرع، وصلب الدين. فقضية العدل ليست اختيارية أو من فضائل الأعمال، إنما هي أمر إلزامي لا تقوم الشريعة إلا به، ولا يستقيم لمؤمن أن يحكم بغيره، وهو من الأسس التي عليها عمار الكون، وصلاح العباد، حث عليه الإسلام وجعله أساساً للحكم بين الناس (خالد، 2017).

يمكن تطبيق هذه الأخلاقيات او المبادئ في الجوانب الاجتماعية، والجوانب الاقتصادية (ماثيوز وتلمساني، 2003) والجوانب البيئية. الا أن الأحكام المسموح بها في التعامل مع البيئة هي أوسع نطاق بين السلوكيات الإنسانية الاجتماعية والاقتصادية اليومية، كما أن علماء الفقه لم يتخذ أي قرارات قطعية تتعلق بالمبادئ الخاصة بالجوانب الاجتماعية والاقتصادية (أبورونية وسكستون، 2006)، ولا يزال النقاش بشأن أداء كل إجراء من الإجراءات يُثار الى يومنا هذا، لأن هذه الجوانب لها علاقة مباشرة متغيرة ومتجددة وتأثير مباشر وغير مباشر على حياة المسلمين.

ولكن جميع الأعمال والأفعال، تنطوي تحت قاعدة عامة، مسموح بها وكل شيء جائز إلا الذي يحرمه القانون الالهي. والمسلم مطالب بأداء هذه الإجراءات تحت أي ظرف من الظروف، وهناك أمر ملح على المسلمين للتصرف وفقاً لفهمهم والاجتهاد من القرآن الكريم والأحاديث لتطبيق المبادئ الإسلامية تجاه البيئة الطبيعية (كون، 2003)، والاجتهاد يبنى على اساس أن الضرر إما أن يخفض أو يُلغى.

وليس من الضروري إشراك الافراد في سياسة المحافظة على البيئة فحسب، بل أيضاً تحسين أخلاقه وتغيير مواقفه والرفع من مستوى وعييه تجاه البيئة الطبيعية.

وباختصار، فإن الإسلام لا يترك المسائل البيئية دون تفسير؛ بل إنه لا يترك أي تفسير. جعلها القرآن مفهومة وصنفها لمن يستطيع الحصول على فوائد مباشرة أو غير مباشرة. ولذلك فإن البشر ليسوا المالكين؛ بل هم بالأحرى المشرفين والمحافظين على الموارد الطبيعية التي قدمها الله لهم ولمخلوقات أخرى الذين يعيشون معهم.

قضايا التنمية المستدامة والمسئولية الاجتماعية في الإسلام

على الرغم من حداثة مصطلح التنمية المستدامة ألا أن مفهومه ليس بجديد على الإسلام، القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة كما ذكر سابقا حافل بالعديد من النصوص التي تمثل الركائز الأساسية للتنمية المستدامة (الاتحاد العالمي للتنمية المستدامة، 2021). وتضع الضوابط التي تحكم علاقة الإنسان بالبيئة من أجل ضمان استمرارها صالحة للحياة إلى أن يأتي أمر الله. ومن الجدير بالذكر أن مفهوم التنمية المستدامة في الإسلام أكثر شمولا، بل إنه أكثر إلزاما من المفهوم المناظر الذي تم تبنيه في أجندة القرن الحادي والعشرين المنبثقة عن قمة ريو (يحياوي وعاقلي، 2012)، وقد استخدمت لجنة برونت لاند مصطلح "التنمية المستدامة" في تقرير "مستقبلنا المشترك" المعروف باسم "تقرير برونت لاند"، والذي صدر في عام 1987، عن اللجنة العالمية للبيئة والتنمية التابعة لمنظمة الأمم المتحدة(WCED,1987). وفي قمة المناخ عام 2015 اعتمدت جميع الدول الأعضاء في الأمم المتحدة أهداف التنمية المستدامة والتي تُعرف أيضا باسم الأهداف العالمية وتتضمن وثيقة "تحويل عالمنا" جدول أعمال 2030 للتنمية المستدامة، 17هدفاً و169 غاية فرعية تتوافق مع اهداف التنمية المستدامة (الاسكوا، 2021).

وأصبح مفهوماً واسع الاستخدام في العديد من التخصصات مثل التعليم، الصحة، النقل، المياه، الطاقة، الإسكان والسياحة. وكان المصطلح يعني: "القدرة على تلبية احتياجات الحاضر دون أن يشمل قدرة الأجيال المقبلة على تلبية احتياجاتها الخاصة". وقد عُرفت التنمية المستدامة بأنها: الأنشطة التي تهدف إلى استثمار الموارد البيئية بالقدر الذي يحقق التنمية، ويحد من التلوث، ويصون الموارد الطبيعية ويطوِّرها، بدلاً من استنـزافها ومحاولة السيطرة عليها. وهي تنمية تراعي حق الأجيال القادمة في الثروات الطبيعية البيئية (سبقاق، 2018).

وأوصى المجتمع الدولي باعتماد ما اصطلح على تسميته بالتنمية المستدامة، مما يتطلب إعادة النظر في أساليب التنمية الاقتصادية الاجتماعية التقليدية؛ التي اتسمت بإستنزاف للموارد والاضرار بالبيئة الطبيعية وأترث بشكل سلبي على مصادر الحياة. وبالتالي أي برنامج ناجح للتنمية المستدامة لا بد له أن يحقق التوافق والانسجام بين عناصر ثلاثة (الاقتصاد، المجتمع، والبيئة) للارتقاء بمستويات الجودة لتلك العناصر معا، أي تحقيق النمو الاقتصادي وتلبية متطلبات أفراد المجتمع، وضمان السلامة البيئية، مع المحافظة في الوقت نفسه على حقوق الأجيال القادمة من الموارد الطبيعية (يحياوي وعاقلي، 2012)، ومن ثم، فإن المسألة تتعلق بمعالجة احتياجات الجيل الحالي، أي أنها تضع الاحتياجات الأساسية للإنسان في المقام الأول، فأولوياتها هي تلبية احتياجات المرء من الغذاء والمسكن والملبس وحق العمل والتعليم والحصول على الخدمات الصحية وكل ما يتصل بتحسين نوعية حياته المادية والاجتماعية وبما يضمن حقوق الأجيال المقبلة في الموارد لأجل النهوض بالتنمية في الوقت نفسه من خلال الحفاظ على مصادر الحياة والبيئة الطبيعية (أبورونية، 2009).

وبالتالي تعني الاستدامة ضمناً:

1. الموارد محدودة؛
2. تحقيق العدالة بين الأجيال في استخدام الموارد الطبيعية؛
3. تقييد قدر الإمكان الزيادة في التشوه والتلوث البيئي من أجل الحفاظ على الجودة الحالية للبيئة.

هذه النقاط الثلاث تبدو بسيطة، ولكنها بالحقيقة معقدة ومتصلة بعضها ببعض، والاجراءات حيالها تتغير تبعاً لتوجه الفرد (الزبير، 2007) أو الدولة.

وهناك جدل في قضية الاعتراف بمحدودية الموارد في الشريعة الإسلامية. اذ يقر بعض البحاث بأن القرآن الكريم أكد على أن الإنسان سيعاني من الجوع وفقدان الثروة، قال الله تعالى: ((**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ** (سورة البقرة (155)).

كما أن البعض ذكر ان الآية: ((**وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ، وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ** (الشورى (27))، تدل على محدودية الموارد ووجودها متوازن بمكان وزمان محدد (عبد العزيز، 2020).

وعلى النقيض، يرى باحثون أخرون أن الإسلام لا يعترف بالندرة، يعتبر الندرة متعلقة بسوء استخدام الموارد أي في كيفية الاستخدام لا كمية المخزون، قال الله تعالى: ((**وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ** (إبراهيم (34)) ((**وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ** (الحجر (19)) ((**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ** (هود (6))،

وهذه الآيات تدل على وفرة الموارد وان الانسان غير قادر على عد واحصاء نعم الله والموارد على الأرض، فكيف يكون للبشر القدرة على تحديد وادعاء الندرة في حين الله هو الخالق ومالك الموارد وينتج في قياس متوازن.

وبغض النظر عن الجدل القائم فمن الضروري البحث عن آلية تؤمن بضرورة ترشيد الموارد من منطلق انه مطلب شرعي واخلاقي. والتنمية لكي تكون مستدامة تحتم علينا ترشيد الاستخدام الامثل للموارد، بغض النظر عن كون المورد نادراً، أو كان وفيراً (دنيا، 2015)، قال تعالى: ((**كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَارَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ** (طه (81)). أي أن الله هو صاحب الموارد، وله ينتمي إلى كل شي، وأن كل شيء على الأرض تم إنشاؤه من أجل الإنسان لخدمته. والاستخدام الرشيد للموارد تشمل أفراداً مرتبطين بالبعد الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، وأن موقفهم إزاء البيئة الطبيعية يؤدي دوراً بالغ الأهمية في خطة التنمية المستدامة (عبد الرحمن، 2012).

خلق الله البشر لملء الأرض، واعمارها، واحترام الموارد الطبيعية، ولم يخلقهم لمثل هذا فقط، بل أيضا مطالبون برعاية وتعزيز جميع الموارد الطبيعية، بما فيها الهواء والماء والبحار والنبات والحيوان والامتناع عن أي عمل يحتمل أن يسبب تلوث أو ضرراً للنظام الإيكولوجي أو يخل بالتوازن الذي يوجد فيه (الأمم المتحدة، 2002).

واذ تؤكد آياته أن البشر يمكن أن يجدوا جميع الاحتياجات الأساسية للحياة مثل الزرع والماء والهواء والنار والانعام وغيرها، وأن جميع هذه السلع هي في نسب دقيقة لتمكين البشر من العيش وممارسة الحياة باطراد وبشكل منظم، قال الله تعالى:

((أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (الواقعة 63-74))

((وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (النحل 65-69))

((فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (الشعراء 147-152))

في هذه الآيات القرآنية، تشير الى أن الأكل والشرب هو استهلاك لموارد الحياة. ولا يخلو هذا الاستهلاك من ضوابط. ويتعين حماية عناصر الحياة المكونة لكي يستمر استهلاكها بطريقة مستدامة (ماتالي، 2012). ويعتمد سلوك الاستهلاك في الإسلام على الاستخدام الفعال للموارد الطبيعية والحد من النفايات، كما أنه ينقذ البيئة من المشاكل الناجمة عن تلوث النفايات. وعلاوة على ذلك، الإسلام يمنع جميع أنواع التجاوزات، سواء في الشرب، الأكل، وغيرها من الأنشطة. ويعمق المسئولية تجاه الموارد (فاكير، 2005).

الإسلام يعتبر الفرد مسؤولاً عن أي ضرر يلحق بالأرض. ولذلك، ينبغي للناس حماية البيئة والحفاظ على الموارد الطبيعية. والحفاظ على توازن الموارد الطبيعية هو السبيل الوحيد لضمان البقاء.

ولذلك، فإن القيم تركز على الوعي والمسؤولية الاجتماعية. ولكن لماذا البشر هم المسؤولون عن الطبيعة؟ لأن البشر خليفة الله في الارض، قال تعالى: ((**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً** (البقرة (30))، والاستخلاف هو: تمكين االله للبشر عامة ولبعضهم خاصة في إحلالهم محل من قبلهم في ملكية الأرض والمال، **وقال تعالى: ((أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا** (هود (61))؛ أي: جعل الانسان ليعمرها ومكنه لاعمارها. فالخلافة تحدد مكانة المسلم ودوره وتتحدد من خلالها مسؤولياته، والتكليف يدل على أن كل فرد مسؤول عما يقوم به (العصيمي، 2015).

والمسؤولية هي الاستعداد الفطري الذي جبل االله تعالى عليه الإنسان ليصلح للقيام برعاية من كلفه االله به من أمور تتعلق بدينه ودنياه فإن وفى ما عليه من الرعاية حصل له الثواب وان كان غير ذلك حصل له العقاب. والمسؤال هو الذي أطلق عليه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كلمة الراعي: (**كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته: الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته؛ فكلكم راع ومسئول عن رعيته**). ويُرى أن التشديد على المسؤولية الفردية والاجتماعية يتحقق في وظيفة فهم خلق البشرية. خلق الله كل شيء للبشر وعينه خليفة على هذه الأرض. وكان هذا الدور هو دور الوصاية (أمانة) التي فرضت مسؤولية أخلاقية. يقول القرآن الكريم:

((**إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا** (الأحزاب (72)).

والمسئولية الاجتماعية في المنظور الإسلامي تطالب الإنسان بأن يكون مسئولاً وأمينا ومحسنا للطبيعة، ويستهلك منها بقدر حاجته وحاجة من يعولهم، بدون إسراف واستنزاف.

في المقابل، فإن الإسلام يعزز القصاص كجزء من الشريعة لحماية البيئة وتشجيع الاستخدام المستدام للموارد،

قال الله تعالى:

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (المائدة 94-96)).

أما إذا أردنا أن نربط المسؤولية الاجتماعية بمفهوم التنمية المستدامة فنجد أن البنك الدولي المسؤولية الاجتماعية يعرفها بأنها التزام أصحاب النشاطات الاقتصادية بالمساهمة في التنمية المستدامة من خلال العمل مع المجتمع المحلي لتحسين مستوى المعيشة بأسلوب يخدم الاقتصاد والتنمية في آن واحد.

وملخص ما ذكر، ان الطريقة الوحيدة نحو الاستدامة والرفاه هو بغرس الخوف من الله، الإنسان الحصول على مصالح للقيام بعمل الإصلاح. فالإصلاح يحتاج في الواقع إلى تغيير في الثورة الثقافية والأخلاقية والسياسية الوطنية أيضا. ويشمل الإصلاح عمليات معقدة تنفذ على نطاق واسع لتحويل النظام القائم إلى نظام ابتكاري. وهذه الخطوة الأخيرة هي الخطوة الأكثر فعالية لإصلاح الأرض بطريقة مستدامة (الأنصاري، 2012).

النتائج والتوصيات

نستنتج أن التنمية المستدامة هي جزء لا يتجزأ من الشريعة الإسلامية، والاخيرة تسعى لتنمية الانسان في ذاته أخلاقياً، إنطلاقاً من قيم الإسلام المستوحاة من الكتاب والسنة، قال الله تعالى: ((**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ**" (يونس (57)). النظرة الإسلامية الشاملة للتنمية المستدامة توجب ألا تتم هذه التنمية بمعزل عن الضوابط الدينية والأخلاقية، لأن هذه الضوابط هي التي تحول دون أية تجاوزات تفقد التنمية المستدامة مبررات استمرارها.

وإن أهم مقوم في الإسلام لنجاح عملية التنمية المستدامة هو الايمان والعمل الصالح استناداً لقول الله عز وجل: ((**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَـكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُون** (الأعراف (96). وان تنمية شعور الإحساس بالمسئولية لدى الفرد والمجتمع هو من صميم التربية الإسلامية، لذلك يعتبر المسلم مسئول أمام الله سبحانه وتعالى أولاً وامام مجتمعه (العصيمي، 2015). وتؤكد هذه الدراسة أن الأرض في الدين الإسلامي هي أرض اختبار للبشرية من خلال اتباع إجراءات معينة تحدد العلاقة بين الناس ومحيطهم "البيئة – المجتمع"، "البيئة – الاقتصاد"، و"المجتمع – الاقتصاد"، الذي يتصل بشكل مباشر أو غير مباشر بحياة المسلمين.

والنتيجة التي خلصت لها الدراسة تتمثل في قلة الوعي وانحراف العلاقة بين الأوامر والنواهي التي جاءت في القرآن والسنة وبين سلوك الإنسان واسرافه في أنشطته الإنسانية والاقتصادية على حساب الموارد المتوازنة والمحسوبة في الكون. وانحراف هذه العلاقة يرجع لابتعاد المسلم عن القرآن الكريم وعدم اتباع اوامر ونواهي القران الكريم والاحاديث النبوية الشريفة، قال الله تعالى: ((**وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا** (سورة الفرقان (30))، ((**أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**))، أي ابتعدوا عن القيم الأخلاقية والشرعية ولم يعد كتاب الله للتدبّر والنّهضة ووسيلة لإعمال العقل وتضمينه أوامره ونواهييه في الخطط التنموية والسياسات الوطنية، قال الله تعالى: ((**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ** (سورة آل عمران (31–32))). فمسلك التقوى أساس ضروري للتنمية غير أن المشكل يكمن في المسلك الذي يرسمه الإنسان والمجتمع لهذه العلاقة من أجل تحقيق طموحاته التنموية. ويبدوا ان العلاقة التي تربط التنمية بالبيئة تسير في اتجاه واحد بعيداً عن التقوى واعمال العقل، أي من البيئة إلى الإنسان، بحيث تزود الأولى وتضع رهن الإشارة كل الموارد، بينما الانسان يأخذ، ويقتطع، ويستغل، ويحول ويحدث الخلل، وهو ما تتسم به تصرفات الإنسان حالياً، وبالتالي التنمية التقليدية أصبحت على المدى الطويل عاملاً هداماً، وكانت ومازال لها تأثيرات على البيئة يصعب تداركها، قال الله تعالى: ((**الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** (البقرة، (268)).

وإذ توصي الدراسة بالعودة الى منهج العقيدة الإسلامية؛ القران الكريم والسنة النبوية وتطبيق ماجاء فيهما من أوامر ونواهي، وذلك من خلال وضع خطة وطنية تتبني فيها المؤسسات التعليمية لفلسفة الوعي السببي من جعل بني أدم خليفة الله على الأرض ونشر الوعي فيما يتعلق بالأمانة التي كلفنا الله بها، وان يكون الانسان هو المحور الفلسفي لتهذيب سلوكه تجاه البيئة، وهنا يتجلى دور التربية البيئية، من أجل خلق وعي بيئي ومسئولية مجتمعية تقلل من الهدر المبالغ فيه في استهلاك الموارد البيئية وتزودهم بالمعرفة والمهارات لتحمل المسئولية الجماعية.

الخاتمة

ناقشت هذه الورقة فلسفة التنمية المستدامة من منظور إسلامي مدعوم بآيات بينات من القرآن الكريم والاحاديث الشريفة. وقد بينت الورقة أن القيم والمعايير الدينية لها تأثير على جميع جوانب المجتمع الإسلامي لو اخذ بها وتم ابتاعها. وقد تم الاعتراف ان الدين الإسلامي دين عملي وتنموي، اذ دعى الى إعمار الأرض، ولكن وفق ضوابط ومبائ أخلاقية تحذر بعواقب تدمير البيئة البشرية والحياة الحيوانية والموارد الطبيعية الموهوبة. إن تقييم الاستدامة البيئية من منظور الشريعة الإسلامية من المرجح أن يكون سهلاً وطبيعياً، خاصة في مجتمع يعد الدين أساس ومنهج حياة. ومن الدواعي إستغلال العلاقة القائمة والمتجددة بين المسلم والقيم الدينية السامية، بوضع خطة تعليمية تربوية شاملة تدمج الوعي المعرفي بالقيم الدينية، وستجد طريقها لإنتاج بيئة صحية مسئولة وواعية بما هو محيط بها وحولها وسيقودها الأيمان والمعرفة الى درجة أعلى من الاحسان والانصاف والاحترام لحياتهم وحياة الأجيال القادمة، وان البناء التشريعي الأخلاقي للإنسان والمؤسسات كما ورد بالقران والسنة كفيل بتحقيق تننمية اقتصادية اجتماعية بيئية مستدامة.

المراجع

- أبورونية حميدة، سيكستون مارتن، (2006)، الإسلام والتنمية المستدامة، المؤتمر الدولي السادس لبحوث الدراسات العليا، جامعة سالفورد وجماعة دلفت للتكنولوجيا، دلفت–هولندا.
- أبورونية حميدة، (2009). نظرية رأس المال والتنمية المستدامة، العمارة المستدامة والتنمية الحضرية، العدد (1)، صفحات 1–17، طرابلس ليبيا.
- البخيت محمد، (2009)، الحمى والمحميات ودورها في الإسلام، www.aleqt.com
- الجيوسي، عودة، (2009). القيم الإسلامية والتنمية الريفية المستدامة. المنبر الدولي، الصفحات 39–41.
- الاتحاد العالمي للتنمية المستدامة، (2021)، التنمية المستدامة في الإسلام، www.gfsd.us
- السبهاني عبد الجبار، (2021)، الاقتصاد الإسلامي: المشكلة الاقتصادية، www.al-sabhany.com
- الاسكوا، (2021)، خطة التنمية المستدامة لعام 2030 في المنطقة العربية، www.unescwa.org
- العصيمي عابد، (2015)، ***المسئولية الاجتماعية للشركات نحو التنمية المستدامة***، كتاب إنك.
- الأمم المتحدة، (2002)، الإطار العام للبرنامج الإسلامي للتنمية المستدامة، الإعلان الإسلامي بشأن التنمية المستدامة: مؤتمر القمة العالمي للأمم المتحدة. جوهانسبرغ، جنوب أفريقيا.
- الأنصاري عبد الحسيب، (2012). التنمية المستدامة: البعد الإسلامي مع إشارة خاصة إلى الحفاظ على البيئة. أوجه التقدم في العلوم الطبيعية والتطبيقية، العدد (6)، صفحات 607 – 619.
- ايسيسكو. (2010). العالم الإسلامي وتحديات التنمية المستدامة"، www.isesco.org.ma.
- الزبير، هـ. (2007). التنمية المستدامة من منظور إسلامي. المجلة الاقتصادية الإسلامية، العدد (19)، صفحات 3–18.
- المومني أحمد، (2018)، حماية مكونات البيئة في الإسلام، الموتمر الدولي: آليات حماية البيئة، طرابلس – لبنان.

جابر آلاء، (2020)، التوازن الطبيعي وحماية البيئة، www.mawdoo3.com

- خالد عمرو، (2017)، أهمية خلق العدل والانصاف، www.balagh.com، [وقت الدخول 2021]
- دنيا شوقي، (2015)، المشكلة الاقتصادية وحقيقة الندرة النسبية، www.aliqtisadalislami.net
- سبقاق فطيمة، (2018)، أبعاد التنمية المستدامة في منظور إسلامي، www.alukah.net
- صلاح، م. (1992). نموذج التنمية المستدامة في الإطار الإسلامي الشامل، مؤتمر الجمعيات التعليمية الكندية.
- طعمة تمام، (2019)، مفهوم البيئة في السلام، www.sotor.com
- عبد الرحمن احمد، (2012)، التنمية الاقتصادية المستدامة، المجلة الأوروبية للعلوم الاجتماعية، المجلد (3)، العدد (24). صفحات 330-338.

عبد العزيز نوال، (2020)، المشكلة الاقتصادية وعناصرها من منظور إسلامي، www.e3arabi.com

- عز الدين محمد، (1990). أخلاقيات البيئة الإسلامية، القانون والمجتمع، مجلة أخلاقيات البيئة والتنمية، رونالد إنجل، وجيب إنجل.
- عمر محمد، (2015)، التنمية المستدامة من منظور إسلامي، www.aliqtisadalislami.net
- فاكير، (2005)، أمة المنافع العامة والتنمية المستدامة والإسلام. www.islamic-world.net
- صلاح رزان، (2016)، تعريف الشريعة لغاً واصطلاحا،
- كريمي حنان، (2012)، البيئة من منظور أخلاقي، مركز دراسات التشريع الإسلامي والأخلاقي، www.cilecenter.org ، [وقت الدخول 2021].
- كلوغستون، ر. (2012)، تقاليد الأيمان والتنمية المستدامة، استكشاف التآزر بين القيم الدينية والتعليم من اجل تنمية مستدامة، ميثاق الأرض الدولي.

كون، م، (2003)، دور المنظمات التجارية في المجتمع الإسلامي، الورقة الخضراء للنشر، صفحات 49-66.

- ماتالي، ز. هـ. (2012). الاستدامة في الإسلام، صفحات 35-38.
- ماثيوز، ر، تلمساني، أ. (2003). الزكاة ورأس المال الاجتماعي: أوجه التشابه بين الإسلام والغرب، مركز سياسة الأعمال الدولية، العدد (8)، صفحات 1-15.
- ميلاد سالم، (2012). بعض الآراء الإسلامية حول المسؤولية البيئية. المؤتمر الدولي الثاني لعلوم البيئة والتكنولوجيا الحيوية. العدد (48)، الصفحات 109 – 113، اللجنة المشتركة بين الوكالات المعنية، سنغافورة.
- هناء عيسى، (2018)، حماية الشريعة الإسلامية للبيئة الطبيعية، دراسة فقهية مقارنة، كلية الدراسات الاسلامية والعربية للبنات، المنصورة، مصر.
- WCED, (1987), ***Our Common Future***, The World Commission on Environment and Development, Oxford University Press, New York.